مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (2)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (2) 2011

في تداخل الأجناس الأدبيَّة

الدكتورة لطفية إبراهيم بَرهم*
قصي محمد عطية**

(تاريخ الإيداع 2 / 2 / 2011. قبل للنشر في 18 / 5 / 2011)

□ ملخّص □

يُلقي هذا البحثُ الضَّوءَ على نظريَّة (الأجناس الأدبيّة)، التي تنوّع الاهتمام بها عبر العصور، وتعدّدت فيها المقاربات، والتصنيفات، إلى حدّ التضارب، بدءاً من (أرسطو) حتَّى الوقت الراهن، من دون أنْ تستطيع الخروج على التقسيم الثلاثيّ: (الملحميّ، والدّراميّ، والغنائيّ)، الذي اقترحه (أرسطو)، داعياً إلى ضرورة الفصل بين (الأجناس الأدبيّة)، ممّا أدّى إلى ظهور مبدأ (نقاء الأجناس)، الذي ساد طويلاً، ثمّ عاد الاهتمام بها مع النصف الأوّل من القرن العشرين مع ظهور الرومانسيّة، التي ولّدت اتجاهاً ثار على الأجناس، ورفض التقسيمات المُقترَحة، وقد مثَّله الناقد (موريس بلانشو) الذي نفى الأجناس، وبلغ ذروته مع (بنديتو كروتشه) الذي أعلن موت الأجناس، وبشّر بعصرٍ جديدٍ لأثر أدبيّ متحرِّر من كلِّ قيدٍ أجناسيّ.

أمّا النقد العربيّ فلم يعرفِ التصنيفَ اليونانيّ القديم للأجناس الأدبيَّة، ويُعدّ التصنيف (الشّعر/ النّثر) من أكثر التصنيفات انتشاراً في النقد العربيّ، لكنّ الموضوع اتّخذ أهميّة خاصّة في الثقافة العربيّة الحديثة، قبيل تصرّم النصف الثاني من القرن العشرين، فصار مجالاً للسجال في ميادين النقد والتنظير، وما يزال قيد المراهنة بفعل الإنتاج الأدبيّ الحديث المتفاعل مع محيطه العالميّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الجِنْس، النَّوع، تداخل الأجناس الأدبيّة.

* أستاذ مساعد . قسم اللغة العربيّة . كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقيّة . سورية.
** طالب ماجستير . قسم اللغة العربيّة . كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقيّة . سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (2)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (2) 2011

In Literary Types Interaction

Dr. Loutfiyah Ibrahim Barham*
Qusai Mouhamad Atiyah**

(Received 2 / 2 / 2011. Accepted 18 / 5 / 2011)

□ ABSTRACT □

This research throws light on the (Literary genres) which were considered important down ages. There were various opinions about them to the extent of contrition, starting from (Aristotle) till today without going out on the three divisions: (epical, dramatic, and singing), which Aristotle suggested, inviting to the importance of separation between them. This led to the appearance of the principle which lasted long; then the interest in them returned again in the first half of the twentieth century with the appearance of Romanticism, which created a new form that revolved on these genres, and refused these proposed divisions, represented by (Morice Blancho), who abolished the genres to create a new age liberated from genres.

As for Arabic criticism, it didn't know the classification of the Greeks for literary genres, as the classification of (Poetry, Prose) is considered the most popular in Arabic criticism.

Keywords: type, kind, Literary Types Interaction.

* **Associate Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattatkia, Syria.**
** **postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدّمة:

تنوّع الاهتمام بنظريَّة (الأجناس الأدبيَّة) عبر العصور، وتعدّدت فيها التصنيفات إلى حدّ التضارب، وتعود بدايات الاهتمام بهذه النظريّة إلى (أرسطو) الذي حدّد الخصائص المميّزة لكلّ جنس من الأجناس الأدبيّة، وغدت تلك الخصائص بمنزلة قوانينَ تشريعيةٍ يجب الالتزام بها، الأمر الذي أدّى إلى ظهور مبدأ (نقاء الأجناس) الذي يعدّ الأجناسَ كائناتٍ مستقلّةً عن بعضها البعض، بما ينفرد به كلّ جنس من خصائص، لا يحقُّ لجنس آخر استعارتها.

وقد ولّد ظهور الرومانسية في النصف الأول من القرن العشرين اتجاهاً رفض التقسيم اليونانيّ القديم للأجناس الأدبيّة، مثّله (موريس بلانشو) الذي نفى الأجناس، وبلغ ذروته مع (بنديتو كروتشه) الذي أعلن موت الأجناس، وبشّر بعصرٍ جديدٍ لأثر أدبيّ متحرِّر من كلِّ قيدٍ أجناسيّ.

أما تناول النقد العربيّ لنظريَّة (الأجناس الأدبيَّة) فيعود إلى الحقبة الزمنية التي تم فيها تداخل النص الأدبي العربي في القرن التاسع عشر مع النصوص الأدبية الأوربية، واقتصر حضور هذه المسألة على بعض المحاولات غير الناضجة، والمقالات الموجزة التي نبّهت على هذه المسألة من دون أن تجرؤ على دراستها، ورأت في المزج بين الأجناس الأدبية قانوناً طبيعياً في أيّ تحوُّل أدبيّ، ومن أكثر التصنيفات الشائعة في النقد العربيّ القديم: التصنيف إلى (الشعر/ النثر)، وقد اعتمد النقّاد القدامى على (الموسيقا) للتفريق بين هذين الفنّين، مُستندين إلى تعريف القدماء للشّعر بأنه: (قول موزون مقفى).

أهميَّة البحث وأهدافه:

تأتي أهميّة هذا البحث من أنّه يلقي الضوء على نظريّة (الأجناس الأدبيّة) وتداخل هذه الأجناس من منظور النقدَين الغربيّ والعربيّ، ويقدّم صورة واضحة عن أهمّ المحطّات التي مرّت بها هذه النظريّة.

وتوصّل البحث إلى أنّ الأعمال الأدبيَّة المُصنَّفة تحت جنس (الشّعر) أو جنس (النثر) ليست، كلّها، نسخة واحدة، وفي مثل هذا الزعم إنكار لخصوصيّة العمل الأدبيّ وفرادته، فالجنس الأدبيّ ليس معطًى ثابتاً، وإنّما يتغيَّر من حقبة زمنية إلى أخرى، نتيجة لتغيّر العلاقات بين الأنساق المكوِّنة لهذا الجنس، وقد قدّم البحث كتاب «الكتاب أمس المكان الآن» لـ «أدونيس» مثالاً على تداخل الأجناس الأدبية، بوصفه نموذجاً جديداً في الكتابة، يزاوج فيه بين مختلف الأجناس، ونصوصه ليست ذات هويّة أجناسيّة أُحاديّة، فخلق بذلك شكلاً جديداً من الكتابة، يتمرّد على الشكل البنائيّ الثابت، فأنتج نصّاً شديد التعقيد أشبه بـ «مسرح كلّيّ لكلّيّة اللغات والأشياء».

منهجيَّة البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ، يؤازره المنهج التاريخيّ في تتبّع نظريّة (الأجناس الأدبيّة) عبر العصور الأدبيّة؛ للوصول إلى الأهداف المنشودة.

تداخل الأجناس الأدبيَّة:

1 . (الجنس) و(النَّوع) لغةً:

جاء في (معجم مقاييس اللغة) أنَّ «الجِنْس» هو: [الضَّرب من الشَّيء، قال الخليل: كلُّ ضربٍ جنسٌ، وهو من النَّاس والطَّير والأشياء جملةً، والجمعُ أجناس] ([1])، وجاء في معجم (لسان العرب): [الجِنْسُ: الضَّرْبُ من كلِّ شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النَّحو والعَروض والأشياء جملةً...، والجنسُ أعمُّ من النَّوع، ومنه المجانسة والتجنيس] ([2]).

أمَّا فيما يخصُّ معنى «النَّوع» فقد ورد في (معجم مقاييس اللغة) أنَّ (النَّوع) [كلمتان، إحداهما تدلُّ على طائفة من الشَّيء مُماثِلة له، والثانية ضربٌ من الحركة، الأوَّل: النّوع من الشَّيء، والضَّرب منه...، والثاني: قولهم: ناعَ الغُصنُ يَنْوَعُ إذا تمايل، فهو نائعٌ] ([3])، وورد في (لسان العرب) أنَّ [النَّوع: أخصّ من الجنس، وهو أيضاً الضَّرب من الشَّيء...، والجمع أنواع، قلَّ أو كثر...] ([4]).

استناداً إلى ما تقدَّم نجد أنَّ المعجمات اللغويَّة تذهب إلى أنَّ «الجِنْس» هو: «الضَّرب من الشَّيء»، و«الضَّرب من كلّ شيء»، وأنَّ «الضَّرب يكون من الناس، ومن الطَّير، ومن الأشياء جملة»، ويعني (النّوع) أيضاً: «الضَّرب من الشَّيء»، إلاَّ أنَّ «الجنسُ أعمُّ من النَّوع».

2 . (الجنس) و(النَّوْع) اصطلاحاً:

وحَّدت معجمات المصطلحات الأدبيَّة بين هذين المصطلحَين؛ إذ ذهب (سعيد علُّوش) إلى أنَّ [(النوع) أو (الجنس) تنظيمٌ عضويّ لأشكال أدبيَّة، كما يمكن تمييز (الأنواع الكبرى) عن (الأنواع الصُّغرى) في (نظريَّة الأنواع الأدبيَّة)، التي تقوم على محورَين متمايزَين:

أ . مفهوم كلاسيكيّ، يقوم على تعريف غير علميّ لـ (الشَّكل/ المضمون)، ولبعض طبقات الخطاب الأدبيّ، كـ (الكوميديا/ التراجيديا).

ب . مفهوم «واقع» الأصالة، التي تكشف عن العوالم المختلفة، والتسلسل السَّرديّ] ([5]).

ويعدّ «الجِنْس» إحدى المقولات الجوهريَّة في علم المنطق، وقد عرَّفه (الجرجانيّ) بأنَّه [اسمٌ دالٌّ على كثيرين مختلفين بأنواع (...)، وكلّيٌّ مقولٌ على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب: ما هو كذلك. فالكلّيّ جِنْسٌ]([6])، وذهب (الخوارزميّ) إلى أنَّ «الجنس» [ما هو أعمُّ من النّوع] ([7])، أمَّا «النَّوع» فقد عرَّفه (الجرجانيّ) بأنَّه [أخصُّ كُلِّيَيْن مَفْوُلَيْن في جواب ما هو] ([8]).

---

[1]. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السَّلام هارون، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1404هـ، ج 1، مادَّة (جَنَسَ)، ص 486.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مج 3، مادَّة (جنس).

[3] . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادَّة (نَوَعَ)، ص 370 . 371.

[4] . ابن منظور، لسان العرب، مادَّة (نَوَعَ).

[5] . علُّوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط1، 1985، ص 223.

[6] . الجرجانيّ، عليّ بن محمّد، كتاب التعريفات، تحقيق وتقديم: إبراهيم الأنباريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1992، ص 107.

[7] . الخوارزميّ، محمّد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، حقَّقه: إبراهيم الأنباريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1989، ص 165 . 166، عن: شبيل، عبد العزيز، نظريَّة الأجناس الأدبيَّة في التراث النثريّ، ص 146.

[8] . الجرجانيّ، عليّ بن محمّد، كتاب التعريفات، ص 316 . 317.

من خلال ما تقدَّم نجد أنَّ المناطقة والفلاسفة رتَّبوا الماهيَّات إلى (جنس ونوع وفصل وخاصَّة وعَرَض) على شكل قائمة يتصدَّر أعلاها (جنس الأجناس)، الذي لا جنس أعلى منه، ويتوضَّع على قاعدتها (نوع الأنواع)، وهو ما لا نوع أخصّ منه ([9]).

أمَّا الفقهاء والأصوليّون والنَّحْويّون فإنَّهم يختلفون عن الفلاسفة في أنَّهم عدُّوا الجِنْس أخصّ من النَّوع، ومن هؤلاء: (الكفويّ) و(ابن يعيش) ([10])، ولكنَّهم يتفقون في فكرة أنَّ كلَّ لفظ [قد يكون جنساً لأنواع، ونوعاً لجنس، كالحيوان فإنَّه نوعٌ بالنسبة إلى الجسم، وجنسٌ بالنسبة إلى الإنسان والفرس] ([11]).

اختلط مصطلح (الجِنْس) مع مصطلح (النَّوع)، ومن النقّاد الذين استخدموا مصطلح (الجنس): (محمد غنيمي هلال) و(مجدي وهبة) و(كامل المهندس) و(عبد العزيز شبيل) و(خلدون الشمعة) و(الصديق بو علام) ومن الذين استخدموا مصطلح (النَّوع): (حسن عون) و(محيي الدين صبحي) و(شكري عزيز الماضي) ([12])، وسيقوم البحث باعتماد مصطلح (الجِنْس)، على الرغم من التخبُّطات الموجودة في استخدام هذين المصطلحين، في بعض المراجع التي استفدت منها، نظراً لأنَّ مصطلح (الجِنْس) أعمّ من مصطلح (النّوع).

3 . نظريَّة (الأجناس الأدبيَّة):

أ . في النَّقد الغربيّ:

حظيت نظريَّة (الأجناس الأدبيَّة)، منذ القديم، بأهميةٍ بالغة، وقد تضاربت الآراء بشأنها، واعترضتها عوائقُ عدَّة؛ من ذلك: ارتباطها بـ (مفهوم الأدب) ارتباطاً دفع كثيراً من النقَّاد إلى استجلاء هذه العلاقة، وتفسيرها.

وقد تنوَّع الاهتمام بنظريَّة (الأجناس الأدبيَّة) عبر العصور، وتعدَّدت فيها المقاربات، والتقسيمات، والتصنيفات، إلى حدِّ التضارب، بدءاً من (أفلاطون) و(أرسطو) حتَّى الوقت الرَّاهن، من دون أن تستطيع الخروج على التقسيم الثلاثيّ، الذي اقترحه (أرسطو): (الملحميّ، والدّراميّ، والغنائيّ).

حدَّد (أرسطو) الخصائص المميّزة لكلِّ جِنْس من الأجناس، وغدت تلك الخصائص بمنزلة قوانينَ تشريعيَّةٍ، يجب مراعاتها، والالتزام بها، عند كثير من النقَّاد، الذين ألحّوا على ضرورة الفصل بين الأجناس الأدبيَّة، وعدم السَّماح لها بالامتزاج، فهي كائنات فعليَّة ذات استقلال تامّ عن بعضها ([13])، وأفضى الفصل التامّ بين الأجناس الأدبيَّة إلى ظهور مبدأ (نقاء الأجناس)، [ويرجع مبدأ النقاء هذا، إلى أرسطو في فصله الحادّ بين المأساة والملهاة، مدعماً من طرف هوراس فيما بعد] ([14])، وقد بنى هذا التقسيم على أساس الموضوع، وطريقة استعمال اللغة وأساليبها، وصيغها، ووظائفها، وقد ارتكز أغلب النقَّاد . في تصنيفهم الأجناسَ الأدبية . على الأسس التي وضعها (أرسطو).

---

[9] . يُنظَر، شبيل، عبد العزيز، نظريَّة الأجناس الأدبيَّة في التراث النثريّ، صفاقس، الجمهوريَّة التونسيَّة، دار محمَّد عليّ الحامي، ط1، 2001، ص 147.

[10] . يُنظَر، شبيل، عبد العزيز، المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

[11] . ابن يعيش، شرح المُفصَّل، بيروت، منشورات عالم الكتب، د.ت، ج1، ص 18.

[12] . يُنظَر، ويس، أحمد محمد، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقديّ «بحث في المشاكلة والاختلاف»، دمشق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهوريّة العربيّة السوريّة، د.ط، 2002، ص 4.

[13] . يُنظَر، علقم، صبحة أحمد، تداخل الأجناس الأدبيَّة في الرواية العربيَّة، الرواية الدراميَّة أنموذجاً، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ط 1، 2006، ص 15.

[14] . يحياوي، رشيد، مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، المغرب، إفريقيا الشرق، ط 2، 1994، ص 19.

ويعدُّ مبدأُ النقاء (الأجناس الأدبيَّة) كائناتٍ قائمةً فعليًّاً، وذات استقلال تامّ عن بعضها البعض، بما ينفرد به كلّ جِنْس من خصائص، ولا يحقُّ لجِنس آخرَ استعارة هذه الخصائص، كما يسعى إلى الإبقاء على المتلقّي بوصفه مُستهلِكاً سلبيًّاً، قصدَ توجيهه كما يريد؛ لأنَّه . أي مبدأ النقاء . لا يهدف إلى تغيير حاسَّة التلقّي، وتطويرها، وتدريبها، لتقبُّل أيّ تغيير جزئيّ أو كليّ؛ لأنَّ ذلك لا ينسجم مع مقولات (الوضوح والثبات والمطلق والمعقوليَّة)، التي يقوم عليها مبدأ النقاء ([15]).

وبعد إهمال نسبيّ لنظريَّة (الأجناس الأدبيَّة)، عاد الاهتمام بها في الدراسات النقديَّة مع النصف الأوَّل من القرن العشرين، إلاَّ أنَّ ظهور الرومانسيَّة، واهتمامات حلقة (IENA) بألمانيا، قد ولَّدت اتجاهاً ثار على الأجناس، ورفض التقسيمات المقترَحة، ودعَّم هذا الاتّجاه (فيكتور هوغو)، وبلغ ذروته مع (بنديتو كروتشه)، الذي أعلن موت الأجناس، وبشَّر بعصرٍ جديد لأثر أدبيّ، متمرِّد على الحدود كلّها، ومتحرِّر من كلِّ قيدٍ أجناسيّ، جسَّمه، بعد ذلك، (هنري ميشو) فيما أسماه (الأثر الكليّ) ([16]).

وبعد ذلك، كان يُنتظَر . وقتها . اندثار قضيَّة الأجناس الأدبيَّة، ولكنَّ ما حدث كان نقيض ذلك؛ إذ عاد النقد الغربيّ إلى الاهتمام بالقضيَّة من جديد، مع النّصف الثاني من القرن العشرين، وبشكلٍ أكثر حدَّة، حتّى إنَّها شغلت هذا النقد باتّجاهاته، ومدارسه، كلّها، وما يميِّز هذه الدراسات أنَّ كلَّ مدرسة أدبيَّة أخذت تضيف إلى قضيَّة الأجناس الأدبيَّة ما تتوقَّع أنَّه يكشف عن غوامضها، ويضيء جوانبها، إلاَّ أنَّ ما يجمع بينها . على الرغم من اختلافها . هو العودة إلى الأصول، من دون أنْ تقدِّم جديداً، حتَّى يمكن القول: إنَّها كانت تنويعاتٍ لفكرة واحدة ([17]).

وعاد الحديث عن قضيَّة (الأجناس الأدبيَّة) في النقد الغربيّ الحديث، وعن مبدأ (نقاء الأجناس)، ومن النقَّاد الذين اهتمّوا بالأجناس الأدبيَّة، عالم الجمال الإيطاليّ (كروتشه)، الذي تبنَّى في كتابه (المُجْمَل في فلسفة الفنّ)، والمنشور في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، دعوةً صريحة إلى تجاوز التقسيم الأجناسيّ ([18])، والناقد (موريس بلانشو)، الذي كان أكثر حدَّة في دعوته إلى نفي الأجناس؛ إذ قال: «جوهر الأدب هو الهروب من كلِّ تحديد جوهريّ، من كلِّ تأكيد يجعله ثابتاً» ([19]).

وقد استند النقَّاد، في دعوتهم إلى نفي مبدأ (نقاء الأجناس)، إلى عجز الأجناس القديمة . التي تحدَّث عنها (أفلاطون) و(أرسطو) . عن الاستمرار، وتحديداً بعد تحوُّل المجتمعات الأوربيَّة من العلاقات الإقطاعيَّة إلى العلاقات الجديدة ([20]).

من هنا، يمكن القول: إنَّ مبدأ (نقاء الأجناس) لم يعد ذا أهميَّة منذ سيادة الرومانسيَّة، التي رأت في المزج بين الأجناس الأدبيَّة قانوناً طبيعيًّاً في أيّ تحوُّل أدبيّ ([21])، وثارت على (نقاء الأجناس)، حتى إنّ بعضهم شكَّك في إمكانيّة وجود (جنس أدبيّ)، فمع ظهور المرحلة الرومانسيّة بدأت التساؤلات حول مبدأ (نقاء الأجناس)؛ إذ قوَّضت دعوى الكلاسيكيّة، ودعوى (أرسطو) القائلة بصرامة الحدود بين الأجناس الأدبيّة، ودمجت (المأساة) بـ (الملهاة)، اللتين

[15] . يحياوي، رشيد، المرجع السابق نفسه، ص 19. 20.

[16] . يُنظَر، شبيل، عبد العزيز، نظريَّة الأجناس الأدبيَّة في التراث النثريّ، من مقدّمة المؤلّف، ص 6. 7.

[17] . يُنظَر، شبيل، عبد العزيز، المرجع السابق نفسه، من مقدّمة المؤلّف، ص 7.

[18] . يُنظَر، يحياوي، رشيد، مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، ص 25.

[19] . يُنظَر، يحياوي، رشيد، المرجع السابق نفسه، ص 30.

[20] . يُنظَر، يحياوي، رشيد، المرجع السابق نفسه، ص 21.

[21] . يُنظَر، علقم، صبحة أحمد، تداخل الأجناس الأدبيَّة في الرواية العربيَّة، الرواية الدراميَّة أنموذجاً، ص 17.

أصرَّ المذهب الكلاسيكيّ على الفصل بينهما، ومنذ ذلك الوقت بدأ الجدل بخصوص الأجناس وقواعدها، بين مشكِّك بجدواها ومدافِع عن ضرورتها ([22])، ومن النقّاد الذين لم يعترفوا بالقواعد الفاصلة بين الأجناس الأدبيَّة الناقد الإيطاليّ (كروتشه)، الذي نفى ما يسمَّى (أجناساً أدبيةً)، وذهب إلى أنَّ التقسيمات التي وضعها النقّاد كانت تقسيماتٍ مدرسيّةً لشيءٍ لا يمكن تقسيمه، ولن نخسر شيئاً إذا أحرقنا كلَّ مجلَّدات تصانيف الفنون ومنظوماتها ([23])، ومن الذين رفضوا مبدأ (نقاء الأجناس)، أيضاً، الكاتب الفرنسيّ (موريس بلانشو)، الذي حاول التخفيف من سلطة هذه الأجناس، وأبدى رغبة في استبعادها، وذهب نفرٌ من الدارسين إلى أنّ (بلانشو) لم يقصد إلى انقراض الأجناس مطلقاً من الأدب، وإنما أراد أن يخفِّف من حدّة القيود والضغوط، حتى يشعر الأديب بحريَّة أكثر؛ ليراوح بين أجناس مختلفة ([24]).

وهكذا نجد أنَّ الجِنْس الأدبيّ انتقل من مرحلة الصّفاء والنقاء مع الشعريّة اليونانيّة إلى مرحلة وحدة الأجناس الأدبيّة مع الرومانسيّة إلى مرحلة الاختلاط والتهجين والتلاقح.

ب . في النَّقد العربيّ المُعاصر:

لم يعرفِ النقد العربيّ التصنيفَ اليونانيّ القديم للأجناس الأدبيَّة؛ أي ثلاثيَّة (أفلاطون) و(أرسطو): (الملحميّ والغنائيّ والدراميّ)، وهذا أمرٌ طبيعيّ؛ لأنَّ كلَّ مجتمع يخلق أجناسه الأدبيَّة، أو يعدِّل من أجناس أخرى؛ لتكون مناسبة لرؤيته الجماليَّة.

ويذهب (محمَّد بنّيس) إلى أنَّ تناول النقد العربيّ في العصر الحديث لمسألة الأجناس الأدبيَّة يعود إلى بدايات اللحظة التي تمَّ فيها تداخل النَّصّ الأدبيّ العربيّ في القرن التاسع عشر مع النّصوص الأدبيَّة الأوروبيَّة، من الأجناس المختلفة، وخاصَّة منها القصَّة والرواية والمسرح (الشعريّ منه والنثريّ)، وبتفاعل أيضاً مع ترجمة أعمال أدبيَّة أوروبيَّة، وفي مقدّمتها ملحمة الإلياذة لهوميروس، التي عرَّبها سليمان البستاني، ونشرت في مصر سنة 1904م، فضلاً عن أثر الاستشراق في إعادة قراءة الأدب العربيّ القديم، وتصنيفه من خلال اللغة الأوروبيَّة الواصفة ([25])، وقد اقتصر حضور هذه المسألة على بعض المحاولات غير الناضجة، وبعض المقالات الموجَزة، التي نبَّهتْ على هذه المسألة، وأشارت إلى خطورتها، من دون أن تجرؤ على دراستها، ووضعها موضع البحث والدراسة.

ويردّ (عبد العزيز شبيل) سبب هذا القصور، في النقد العربيّ، إلى جِدّة موضوع (الأجناس الأدبيَّة) بالنسبة إليه، وقلّة المظانّ النظريَّة في التراث العربيّ، وارتكان عدد هائل من المخطوطات في المكتبات، من دون أن تمتدّ إليه يدُ التحقيق والنّشر، ولكنَّه، في الوقت نفسه، لا يلتمس للنقَّاد والدارسين العرب العذرَ في ذلك، ولا يبرِّئهم من التقصير، وقد طال عمر البحث، وتتالت أجيال الدّارسين، وامتدَّ حبل الوصل بينهم وبين المدارس الغربيَّة ([26]).

---

[22] . يُنظر، خليل، لؤي عليّ، نصُّ السيولة والصلابة (دراسة في تداخل الأنواع)، ضمن مجلَّد (تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدوليّ الثاني عشر)، مج 2، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمَّان، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009، ص 155 . 156.

[23] . يُنظَر، ويس، أحمد محمد، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقديّ «بحث في المشاكلة والاختلاف»، ص 10 . 11.

[24] . يُنظَر، ويس، أحمد محمد، المرجع السابق نفسه، ص 16 . 17.

[25] . يُنظر، بنّيس، محمَّد، الشّعر العربيّ الحديث، بنياته وإبدالاتها، 4 . مسألة الحداثة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1991، ص 9 . 10.

[26] . يُنظر، شبيل، عبد العزيز، نظريَّة الأجناس الأدبيَّة في التراث النثريّ، من مقدّمة المؤلّف، ص 7 . 8.

ولعلَّ من أكثر التصنيفات انتشاراً في النقد العربيّ القديم، التّصنيف إلى (الشِّعر والنَّثر)، وقد عرَّف (قدامة بن جعفر) الشّعر بأنَّه [قَوْلٌ مَوْزون مُقفًّى يدلُّ على مَعْنًى] ([27])، واضعاً بذلك حدّاً فاصلاً بين ما هو شعر وما هو نثر، من خلال الوزن والقافية والدلالة على معنى، كما عرَّفه (ابن طباطبا) بأنَّه [كلامٌ منظومٌ بان عن المنثور الذي يستعمله النَّاسُ في مخاطباتهم بما خُصَّ به من النَّظْم الذي إنْ عُدِلَ به عن جهته مجَّتْهُ الأسماعُ وفَسَدَ على الذَّوق. ونَظْمُهُ معلومٌ محدودٌ؛ فمَنْ صحَّ طَبْعُهُ وذَوقُهُ لم يَحْتَجْ إلى الاستعانة على نَظْم الشِّعر بالعَروض التي هي ميزانه، ومن اضطربَ عليه الذَّوْقُ لم يَسْتغنِ عن تصحيحه وتقويمه بمعرفةِ العَروض والحِذق بها حتَّى تصير معرفتُهُ المستفادَةُ كالطَّبْع الذي لا تكلُّفَ معه] ([28]).

وقد جعل النقَّاد (الموسيقا) عنصراً مهمّاً، للتّمييز بين الشّعر والنّثر، فيرى (محمَّد مندور) أنَّ الموسيقا في الشِّعر [ليست دخيلة عليه، ولا مُستعارَة من فنّ آخر؛ لأنَّها نابعة من أداة التعبير الشّعريّ نفسها، وهي اللغة، فالموسيقى الشعريَّة تعتبر إحدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعاني، وألوانها، بالإضافة إلى دلالة الألفاظ والتراكيب اللغويَّة، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نخلص إلى أنَّ النَّظْم . أي موسيقى الشّعر . يعتبر من المقاييس التي تميّز فنّ النثر، ولكن على شرط بديهيّ، هو ألاَّ نعتبر النَّظْم مقياس التفرقة الوحيد بين الفنّين] ([29]).

4 . تداخل الأجناس الأدبيَّة:

ممَّا لاشكَّ فيه أنَّ الأدب لا يشكِّل كلاً واحداً، فهو يتوزَّع إلى أجناس، تتشابه وتختلف، حسب بنية كلِّ جنس أدبيّ، ولكلِّ جنس مجموعة من السّمات، والخصائص الأسلوبيَّة التي تميِّزه من غيره من الأجناس الأدبيَّة الأخرى، وينفرد بها، كما أنَّ حضور هذه السّمات في هذا التجمُّع أو ذاك لا يعني انتماء العمل الأدبيّ إلى هذا الجنس دون غيره، ولكن السّؤال الذي يلحُّ على الدارس:

هل تُعدُّ الأعمال الأدبيَّة المُصنَّفة تحت جنس (الشّعر)، مثلاً، كلّها نسخة واحدة؟

وهل تُعدُّ الأعمال الأدبيَّة المُصنَّفة تحت جنس (النثر)، مثلاً، كلّها نسخة واحدة؟

من المؤكَّد أنَّ هذا الأمر ليس صحيحاً، وفي ذلك إنكار لخصوصيَّة العمل الأدبيّ، وفرادته؛ إذ لا يمكن لأيَّة دراسة؛ تجعل النَّصَّ الشعريَّ موضوعاً لها، أن تنفلت من شبكة الأنساق الشّعريَّة التي تفرض نفسها، وتحدِّد الدراسة في إطار نوع الشّعر، إضافة إلى بعض الأنساق الأخرى، التي يستعيرها الشّعر من الأجناس الأخرى؛ كأنْ يستعير السَّرد من الملحمة، والرواية، وتعدُّد الأصوات، والمونولوج من المسرح.

وهذا ما أكده (بلانشو)، الذي نفى مبدأ (نقاء الأجناس)، واعترف [بوجود قاعدة لا تتوضَّح إلاَّ من خلال الخرق، فالشَّكل الذي يعرف تحوُّلاً مستمرّاً يعطي في كل تحوُّل استثناء، وبالتالي يؤكِّد القاعدة] ([30]).

وثمَّة فرعٌ من الدراسات النقديَّة الحديثة اهتمَّ بمسألة الجنس الأدبيّ، وما طرأ عليه من تحوُّلات باستحداث أجناس، وتهميش أخرى، وتنطلق تلك الدراسات من النظريَّة الأرسطيَّة القديمة، ويبدو أنَّ ثمَّة إشكاليَّة تعرَّضت لها نظريَّة التجنيس القديمة، وهي ظهور أجناس أدبيَّة جديدة، عصيَّة على التجنيس الأرسطيّ؛ لأنَّها لاتنتمي بشكل قاطع

---

[27] . ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1978، ص 17.

[28] . ابن طباطبا العلويّ، أبو الحسن محمّد بن أحمد، كتاب عيار الشِّعر، تح: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، كلّيّة الآداب، جامعة الملك سُعود، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005، ص 5 . 6.

[29] . مندور، محمَّد، الأدب وفنونه، مصر، القاهرة، دار النهضة، 1980، ص 27.

[30] . يحياوي، رشيد، مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، ص 19.

إلى أيٍّ من الأجناس الأدبيَّة القديمة، ولاسيَّما الرواية، التي عُدَّت جنساً أدبيَّاً عابراً للأجناس، بما انضوى عليه شكلها الفنّيّ من قدرة فائقة على الاحتواء والتبدُّل ([31]).

استناداً إلى ما سبق، يمكن القول: إنَّ الجنس الأدبيّ ليس معطًى ثابتاً، وإنَّما يتغيَّر من حقبة زمنيَّة إلى أخرى؛ نتيجة لتغيُّر العلاقات بين الأنساق المكوِّنة لذلك النّوع . أو الجنس . ولذلك فمن غير المجدي إقامة أيِّ تصنيف أجناسيّ صارم، لأيِّ نوع من الأجناس الأدبيَّة، كما أنَّ داخل كلِّ نوع من الأنواع [هناك عناصر أساسيَّة، وعناصر ثانويَّة. إذا لم يحترم النَّصُّ العناصرَ الثانويَّة فإنَّ انتماءه إلى النوع لا يتضرَّر، أمَّا إذا لم يحترم العناصر الأساسيَّة (...) فإنَّه يخرج من دائرة النَّوع، ويندرج تحت نوع آخر، أو في الحالات القصوى، يخلق نوعاً جديداً]([32]).

ويمكن أن نقدّم مثالاً لذلك كتاب «الكتاب، أمس المكان الآن» لـ (أدونيس)، بوصفه نموذجاً جديداً في الكتابة، يزاوج فيه بين مختلف الأجناس الأدبيَّة، كما أنَّ نصوص (الكتاب) ليست ذات هويَّة أجناسيَّة أحاديَّة، وإنَّما هي نصوصٌ يتجاور فيها الشّعر والنثر، ويتداخل فيها السَّرد، والوصف، والمسرح، والتأريخ، وأدب السّيرة، وليس هذا الأمر غريباً على (أدونيس)، الذي دعا إلى [تجاوز الأنواع الأدبية (النثر، الشعر، القصّة، المسرحيَّة... الخ) وصهرها كلّها في نوع واحد هو الكتابة] ([33])، كما نظَّر لمثل هذا النوع من الكتابة، الذي يتمرَّد على الشكل البنائيّ الثابت، فهو يرى أنَّ [الشاعر العربيّ الجديد يتَّجه نحو الشكل المتحرِّك. قد يصبح لكلِّ قصيدة جديدة شكلها الخاصّ، دون أن تتحدَّد بوزن أو نثر. لم يعد يؤمن بشكل مفروض سلفاً، مُطلَق لايتغيَّر] ([34])، كما أنَّ القصيدة تصبح . عنده . [لحظة كونيَّة تتداخل فيها مختلف الأنواع التعبيريَّة، نثراً ووزناً، بثَّاً وحواراً، غناءً وملحمة وقصَّة، والتي تتعانق فيها، بالتالي، حدوس الفلسفة والعلم والدين] ([35]).

وتذهب (زهيدة جبُّور) إلى أنَّ (أدونيس) لم يكتفِ بالتنظير، وإنَّما شرع بتحقيق ذلك النّوع من الكتابة في (أبجديَّة ثانية)، فقدَّم نصَّاً متشعِّباً، يضمُّ أنواعاً أدبيَّة مختلفة، ويضمِّنه اقتباساتٍ من التراث، وإشاراتٍ دينيَّة، وأسطوريَّة، وفلسفيَّة، إلاَّ أنَّه في «الكتاب، أمس المكان الآن» يدفع بهذا النوع من الكتابة إلى حدوده القصوى؛ لينتج نصَّاً شديدَ التَّعقيد، أشبه بـ (مسرح كلّيّ لكلّيَّة اللغات والأشياء)، على حدّ تعبير (أدونيس) ([36]).

خاتمة:

نصل في نهاية البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

---

[31] . يُنظَر، علقم، صبحة أحمد، تداخل الأجناس الأدبيَّة في الرواية العربيَّة، الرواية الدراميَّة أنموذجاً، المقدمة، ص17.

[32] . كيليطو، عبد الفتَّاح، الأدب والغرابة، بيروت، دار الطليعة، ط3، 1997، ص 21. 22.

[33] . أدونيس، مقدّمة للشّعر العربيّ، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، 1986، ص 11.

[34] . أدونيس، المرجع السابق نفسه، ص 129.

[35] . أدونيس، المرجع السابق نفسه، ص 117.

[36] . يُنظَر، جبّور، زهيدة درويش، التاريخ والتجربة في «الكتابI» لأدونيس، بيروت، دار النهار، ط 1، 2001، ص29.

1 . يمتاز العصر الحالي بتداخل شديد بين الأجناس الأدبية، الأمر الذي يحتّم تطوير الرؤية النقدية للأعمال الأدبية.

2 . تعدَّدت آراء الباحثين في قضية الأجناس الأدبيَّة، وتنوَّعت مقارباتهم، واجتهاداتهم فيها، وربَّما تباينت، وتناقضت في بعض الأحيان.

3 . حاولت بعض الدراسات الأجناسية العربية إسقاط المقاربات النقديّة الغربيّة على التراث العربيّ، والخلط بين أدبين ينتميان إلى ثقافتَين متمايزتَين.

4 . من عوامل ظهور بعض الأجناس، أو اختفائها، متطلبات كلّ عصر، إضافة إلى التقاليد الفنية الموروثة والمستحدَثة، وقدرات المبدعين على الخَلْق والإنشاء، المتأتّية من مدى استيعابهم للموروث، وما لهم من متطلبات جديدة.

5 . تتَّسم الأجناس الأدبيَّة بالمرونة، حتَّى صار الحديث عن تداخل الأجناس الأدبيَّة، في النَّقد الحديث، أمراً طبيعيَّاً، على نقيض ما كان سائداً في النقد القديم من فكرة (نقاء الأجناس)، فلا حدود صارمة موجودة بين الأجناس الأدبية، إذ لم يعرفِ النقد العربيّ الحديث التقسيمات القديمة للأجناس الأدبيَّة، ولكنَّه عرف تقسيم الأدب إلى صنفين رئيسيين؛ هما: الشعر والنثر.

6 . يرى (تودوروف) في الأجناس الأدبية الطارئة أنّ الجنس الأدبيّ هو تحويل لجنس أو عدّة أجناس أدبيّة قديمة عن طريق القلب أو الزخرفة أو التوليف.

7 . لم يكن الأدب بعيداً عن مناقشة مسألة التطور؛ إذ أخذت تشغل اهتمام النقاد والدارسين، فالأجناس الأدبيّة تتطوّر وتنمو مثل الكائن الحي، فكما تتوالد الكائنات تتوالد أيضاً الأجناس الأدبيّة.

8 . للأجناس الأدبية وجود مستقلّ؛ إذ ينفرد كل جنس بمميزات خاصَّة مع وجود تشابه بين بعض الأجناس أحياناً، مثلما يوجد بين الأجناس الحيوانية.

المراجع:

1 . ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1978.
2 . ابن طباطبا العلويّ، أبو الحسن محمّد بن أحمد، كتاب عيار الشِّعر، تح: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، كلّيّة الآداب، جامعة الملك سُعود، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005.
3 . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السَّلام هارون، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1404هـ، ج 1.
4 . ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب، مج3.
5 . ابن يعيش، شرح المُفصَّل، بيروت، منشورات عالم الكتب، د.ت، ج1.
6 . أدونيس، مقدّمة للشّعر العربيّ، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1986.
7 . بنّيس، محمَّد، الشّعر العربيّ الحديث، بنياته وإبدالاتها، 4 . مسألة الحداثة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1991.
8 . جبّور، زهيدة درويش، التاريخ والتجربة في «الكتاب I» لأدونيس، بيروت، دار النهار، ط1، 2001.
9 . الجرجانيّ، عليّ بن محمّد، كتاب التعريفات، تحقيق وتقديم: إبراهيم الأنباريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1992.
10 . خليل، لؤي عليّ، نصُّ السيولة والصلابة (دراسة في تداخل الأنواع)، ضمن مجلّد (تداخل الأنواع الأدبيَّة، مؤتمر النّقد الدوليّ الثاني عشر)، مج 2، الأردن، جدارا للكتاب العالميّ، عمان، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009.
11 . الخوارزميّ، محمّد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، حقَّقه: إبراهيم الأنباريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1989.
12 . شبيل، عبد العزيز، نظريَّة الأجناس الأدبيَّة في التراث النثريّ، صفاقس، الجمهوريَّة التونسيَّة، دار محمَّد عليّ الحامي، ط1، 2001.
13 . علقم، صبحة أحمد، تداخل الأجناس الأدبيَّة في الرواية العربيَّة، الرواية الدراميَّة أنموذجاً، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ط1، 2006.
14 . علُّوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط1، 1985.
15 . كيليطو، عبد الفتَّاح، الأدب والغرابة، بيروت، دار الطليعة، ط3، 1997.
16 . مندور، محمَّد، الأدب وفنونه، مصر، القاهرة، دار النهضة، 1980.
17 . ويس، أحمد محمد، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقديّ «بحث في المشاكلة والاختلاف»، دمشق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهوريّة العربيّة السوريّة، د.ط، 2002.
18 . يحياوي، رشيد، مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، المغرب، إفريقيا الشرق، ط2، 1994.